الزهريات الاغريقية

للدكتور أحمد موسى

— ٢ —

كان أول مصنع أقيم لصناعة الزهريات فى بلاد الإغريق بمدينة كورينثيا Corinth فى القرن السادس ق . م . وانتشرت هذه الصناعة حتى بلغت جنوب ووسط إيطاليا وراجت منهما .

وكانت أول الزهريات الكورنثية صغيرة الحجم رقيقة التكوين ، صنعت من طين ناعم الملمس ، مزودة برسومات بُنّية حمراء رسمت على أرضية صفراء باهتة ، أما نقوشها فكانت عبارة عن خطوط أفقية متجاورة ، التفّت حول البدن ، وبين كل مجموعة من هذه الخطوط ، وبين ما علاها تركت مساقة ملئت برسوم للحيوان والإنسان فى أوضاع مختلفة ولكنها بسيطة بالقياس إلى ما سيليها .

وتتلخص الصفة الظاهرة لهذا النوع فى أنها مشابهة فى مجموعها لتلك التى عملت برودس ، من حيث الإخراج واختيار الألوان وأسلوب التصوير ؛ فترى غصن شجرة وقد بدا بالقرب من قاعدة الزهرية متجهاً إلى أعلى ، تفرعت منه أغصان أدق وأرفع ، وزعت فى نظام يدل على الخضوع لخطة مرسومة ، بحيث جاءت بينها مساقات أو مساحات استخدمها الفنان لتصوير الإنسان والحيوان كالأسد والثور وأبى الهول ، وما تبقى من المساحات زوده الرسام بزخارف من بينها الورود الصغيرة التى كانت محببة إلى الأغارقة بصفة خاصة .

على أن المستعرض للزهريات الكورنثية بصفة عامة يخرج بنتيجة صريحة هى أنها ذات أحجام صغيرة كما سبق التنويه ، وذات شكل كروى غالباً ، لها غطاء يوضع فوق العنق فى بعض الأحيان .

وقد طرأ تغيير ظاهر فى صناعتها فى أواخر القرن السادس ق . م . فبدت أكبر حجما وذات مقبضين ويسمونها « أمفورا Amphora » ، وأصبح لون الأرضية أكثر احمراراً نتيجة لزيادة الحريق فى الأفران ، ورأى الفنان نفسه مضطراً إلى استخدام نوع داكن من الورنيش يتناسب مع لون الأرضية ، فتكون ألوانه أكثر وضوحاً ، كما أنه استخدم اللون الأبيض والأحمر البنفسجى .

وبدأ الفنان يعنى بتقسيم مساحة الزهرية كلها إلى أقسام معينة ، بعد ما كانت لا تشتمل إلا على فواصل جاءت دون قيد ودون خطة موضوعة . وكان أهم هذه الأقسام مخصصاً لتصوير قصص الأبطال فى أغلب الحالات . أما الأقسام الأقل أهمية فكانت مجالا لتصوير الحيوان أو الفرسان على ظهور الجياد أو ما شابه ذلك .

ش ١ — بان أثينا أمفورا

ش ٢ — مصورات باللون الأحمر

ولعل من أحسن الأمثلة على هذا الاتجاه زهرية مشهورة محفوظة بمتحف برلين تبين فرسان « أمفياراوس Amphiaraos »

وإلى جانب المشكاوات الكورنثية وجدت فى نفس المرحلة الزمنية مصانع للفخار وعمل الزهريات فى إيطاليا ، فظهرت فى الأفق مجموعة خالكيس Chalkis Collection التى تتميز بصور الرجال والنساء معاً باللونين الأسود والأبيض ، وكذلك حلوها من الزخارف النباتية التى وجدت بالزهريات الكورنثية .

وشاع ظهور المشكاوات المسماة « أمفورا » ذات المقبضين والتكوين الكروى القائم على قاعدة مستديرة . وقد طاف حول وسطها حزام عريض ملىء بصور تمثل سير الأبطال Epos وأحوالهم كمراك هرقليس مع جريونيوس والمراك حول جثة أخيل ، والوداع بين هكتور وبين باريس الخ ، مما لا نقع له إلا الكتب .

ولم يدم الحال طويلا على هذا المنوال ، فلم يكد يبدأ القرن الخامس قبل الميلاد إلا وكانت أثينا قد بدأت تتغلب شيئاً فشيئاً على المشكاوات التى انتشرت فى إيطاليا وانفردت بالرواج طوال القرن الخامس والنصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد .

أنظر إلى المشكاة رقم ١ وهى المسماة « أمفورا » وتأمل بساطة الزخرفة ثم انظر إلى مجموعة الرجال وقد اتجه ثلاثة منهم نحو اليسار واثنان نحو اليمين كأنهم فى حديث هام ، والعجيب أن الفنان استطاع التعبير عما يريد فى هذه الرقعة الضيقة بكل اتقان ، أما رقم ٣ وهى ما يسمونها « هيدرا » Hydra ذات مقبضين أفقيين اشتملت مصوراتها الألوان الثلاثة : الأسود والأحمر والأبيض وقسمت مساحتها إلى ثلاثة أقسام أفقية أوسطها لرجال ونساء وأعلاها لحيوانات وطيور ، أما الأمفورا رقم ٦ فهى ولا شك أكبر حجماً وأرشق تكويناً — والصور الزخرفية هندسية الطابع أغريقية المزاج ، ولعلك تذكر أن الوحدة الزخرفية الموجودة أسفل الصورة مباشرة هى ما يسمونها ميائدر Meander نسبة إلى نهر ذى تعاريج يأتى ذكره فيما بعد .

ش ٣ آنية للتبريد — الأشكال باللون الأحمر — محفوظة بميونيخ

ش ٤ — زهرية أشكالها باللون الأحمر ، وهى تعد من أجل الزهريات الأغريقية — ميونيخ

وقد سارت المشكاوات الأتيكية فى أول أمرها متأثرة بنظائرها اليونية ثم بالكورنثية حتى أوائل القرن السادس قبل الميلاد حيث استقلت بنوع من التصوير يسمونه « التصوير الأسود اللون » .

وتمتاز الأتيكية المذكورة بجمال اللون الأحمر ورقته ودقته وكذلك ببريق الورنيش الذى يراه المشاهد لأول وهلة .

هذا من حيث « الصنعة » أما من حيث الإخراج الفنى فقد امتازت المصورات بمتانة الصور ومقدرته على تنفيذ الفكرة بأسلوب يدل على المران والتمكن .

كما أنه تفنن فى نوع الزخارف فضلا عن عنايته بضبط خطوطها وانحناءاتها وحسن اقتباسه لوحداتها مع التقليل منها ووضعها فى أماكن خصصت لها ، لا تطغى على المصورات ، بل تساعد على توجيه النظر إليها لوجودها فى النهايات كأنها إطار يحيط بالمشكاة .

وكان الموضوع المثير لاهتمام الفنان المصور ينحصر فى سير الأبطال يستلهم منها مادة فنه ، ويلى ذلك مناظر الحياة الاجتماعية والأحداث اليومية يعيش فيها ويتأثر بها ويسجلها فى سجله الخالد على الزمن .

ولعل الاتجاه الذى كانت له قيمته الخاصة ذلك الاتجاه نحو تسجيل المناظر الجنائزية فى مجموعة عرفت باسم Prothesisvase شكلها على هيئة « الأمفورا » إلا أنها أكثر منها ارتفاعاً وأكبر حجماً ، وكان الغرض منها تحلية المقابر والجبانات .

واللاحظ أن فى هذه المرحلة الزمنية بدأ الفنان يشعر بكيانه وبقيمة عمله فأخذ يسجل اسمه على كل مشكاة يصورها ، فجاءت مجموعة « بان أثينا أمفورا » Panáthenaiamphora ولا تخلو واحدة منها عن اسم المصور ، وهذه المشكاوات كانت تملأ عادة بالزيت لتقدم إلى أوائل المتسابقين اعترافا لهم بالتفوق والتقدير ، فى أعياد بان أثينا الآلهة المدينة . وبمناسبة كتابة أسماء المصورين أراه لزاما أن أذكر « كليتياس » Klitias مصور زهرية فرنسوا الشهورة ، وأرجو تيموس Ergotimos وسوفيلوس ونيارخوس Sophilos and Nearchos وأولاده الخمسة .

ويتلخص الفارق البارز بين الزهريات «ذات الأجسام الحمر» من «ذات الأجسام السود» فى أن الأخيرة رسمت عليها الأجسام

بهذا اللون وأحيطت بلون أرضية الزهرية ، على حين كانت ذات الأجسام الحمر عبارة عن خطوط تحديدية غطى ما يحيط بها باللون الأسود الداخيل على الزهرية .

ش ٥ — الأشكال باللون الأحمر من الطراز الأرخى ، متحف باريس

ش ٦ — قنينة للزيت ، باريس

وببلوغ الصنعة هذه الدرجة من التجديد ، كان فن تصوير المشكاة قد تقدم من حيث الأسلوب ؛ فأصبح التعبير أكثر قوة عن ذى قبل ، كما بدت التفاصيل أكثر دقة وأكمل أداء بالقياس إلى سابقتها التى انفردت باللون الأسود وظلت حافظة على مستوى محدود من الاتقان وقفت عنده .

وبعد ما كانت الأجسام البشرية أشبه شىء بوسيلة من وسائل التعبير عن فكرة معينة ، أصبحت قوية من حيث إنشائها والأسلوب الفنى الذى تم به تصويرها ، فكانت العنصر الهام الواضح الأثر .

وتقدم فن تصوير المشكاة تقدماً مستمراً من ذلك الحين أى منذ حكم بزستراتس Pisistratus حيث ظهرت الأجسام باللون الأحمر ، حتى منتصف القرن الخامس ق . م . عندما ظهرت أسماء لامعة فى عالم تصوير المشكاوات أمثال أوبفورونيوس وزميله نيبكتيت وغيرهما من المحدثين نسبياً أمثال دوريس وبريجوس وهيرون Euphronios , Epiktet , Duris , Brygos and Hieron ، ورسمت بعض المشكاوات مزودة بأسماء وتفسيرات لبعض مناظرها ، كما كتبت بعض المعانى الرمزية للتعبير عن مشاعر خاصة . ومن هذا نرى أن تصوير المشكاة كان فناً له خطره وأثره البالغ؛ إذ تكونت منها مجموعة هى سجل حافل بما يميط اللثام عن حياة الأغارقة بين الواقع وبين الخيال .

وبالنظر إلى الزهرية رقم ٢ ه أمفورا » نجدها تشتمل على أجسام باللون الأحمر رسمت فى عناية ودقة ملحوظة تمثل مناظر رياضية رائعة ، بدت فيها أجسام اللاعبين رشيقة التكوين .

ولا نستطيع أن نتناول بالوصف كل واحدة منها على حدة ، وإنما الذى نستطيعه هو أن نوجه نظر القارىء إلى ناحية هامة وهى أن الأشكال ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ رسمت كلها على أرضية سوداء أى بتحديدها ثم طلاء الأرضية بهذا اللون وترك الأشكال دون تلوين ؛ فتبدو حمراء بلون الأرضية.

ورقم ٤ تبين إبريقاً ، و٥ هيدريا Hydria و ٧ ليكيتوس Lekythos و ٨ كراتر Krâter و ٩ أريبالاوس Arybâllos وكلها تبين مرحلة عظيمة من مراحل تصوير المشكاوات الإغريقية .

بقى بيان عن كلة ميآ تدر تعبيراً عن وحدة زخرفية تمثل خطوط متكسرة فى زوايا قوائم يدخل بعضها فى البعض الآخر [الزهرية رقم ٦ أسفل أرجل الحصان مباشرة] سموها كذلك تشبيهاً لها بنهر بهذا الاسم Maandros كثير التعاريج يصب فى بحر أيجة قبالة جزيرة ساموس . أما الزخارف الأخرى فقد اقتبست وحداتها من نباتات وتخيل يسهل فهمهما دون مشقة .

(له بقية)

أحمد موسى

ملحوظة : لأسباب فنية تعذر نشر الرهريات المقول عنها ، فنشرنا هذه بدلا منها ، وهى وإن اختلفت فى الموضوع ، فهى لا تختلف فى الجوهر.

اطلب كتاب

دفاع عن البلاغة